سفر أستير

"سفر العناية الإلهية"

الدرس السـادس

الأصحاح السادس

ليلة تغير كل شـئ

"الرَّبُّ ... قَطَعَ رُبُطَ الأَشْرَارِ" (مزمور١٢٩: ٤)

إنها العناية الإلهية التي تأمر " لأَنَّهُ لاَ تَسْتَقِرُّ عَصَا الأَشْرَارِ عَلَى نَصِيبِ الصِّدِّيقِينَ " (مزمور ١٢٥: ٣)، إلهنا صاحب القدرة والجبروت " يَدِهِ شُعَاعٌ، وَهُنَاكَ اسْتِتَارُ قُدْرَتِهِ" (حبقوق ٣: ٢)، لا يتباطئ أبداً عن وعده، فهو " يُحَامِي فَيُنْقِذُ. يَعْفُو فَيُنَجِّي " (إشعياء ٣١: ٥)، هو طويل الروح، ولا يشأ موت الخاطئ مثلما يرجع وتحيا نفسه (حزقيال ٣٣: ١١)، ولكنه عادل، ينظر إلى الأشرار في غضبه، ترتجف الأمم أمامه، وتدك الجبال الدهرية.. هو أيضًا يصنع الكل حسنًا في وقته (جامعة ٣: ١١) "الرُّؤْيَا بَعْدُ إِلَى الْمِيعَادِ.. إِنْ تَوَانَتْ فَانْتَظِرْهَا " (حبقوق ٢: ٣)

جاء توقيت الإنقاذ الإلهي، وسيركب الرب الغمام لمعونة عبده مردخاي أولاً، ثم بقية الشعب. ما هي الأداة التي استخدمها الرب ليتمم خطته؟؟

إلهنا صاحب اليد القوية والذراع الرفعية، يستخدم أدوات بسيطة لإتمام مقاصده العالية... الأرق هو نقطة البداية لإتمام الخطة "فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ طَارَ نَوْمُ الْمَلِكِ " (أستير ٦: ١)، هل هناك أدوات أخرى مشابهة استخدمها الرب؟؟

نعم، وكثيرًا جدًا، فمرة يستخدم الأرق، وأخرى يُرسل سباتًا (تكوين ١٩: ١١)، قد يضرب بالعمى لينقذ أو ليُعطي نصرة يحسم بها معارك (تكوين ١٩: ١١)، وقد يستخدم دودة ويقطينة ليُعلِم يونان درسًا (يونان ٤: ٧)، وقد يسمع الأعداء صوت خطوات في رؤوس الأشجار (٢ صموئيل ٥: ٢٤) .. أي إله عظيم مثل الله، لم تقصر يده عن أن تُخلص ولم تثقل أذنه عن أن تسمع (إشعياء ٥٩: ١)، يسمع صراخ المسكين ويلتفت إلى صلاة المضطر.

قديمًا كانت هناك ليلة حاسمة في حياة يعقوب، في رجوعه إلى أرضه وسط مخاوفه التي حاصرته من لقاء عيسو، وبقى يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر، وهناك تغير اسمه تبدلت ضعفاته بقوة من فوق (تكوين ٣٢: ٢٤)، أما دانيال الذي قضى ليلته في جب الأسود، فباكر جداً عند الفجر شهد قائلاً: "إِلهِي أَرْسَلَ مَلاَكَهُ وَسَدَّ أَفْوَاهَ الأُسُودِ فَلَمْ تَضُرَّنِي " (دانيال ٦: ٢٢) .. نعم هناك ليلة في حياة كثيرين يحسم بعدها الرب أمورًا مصيرية، كليلة فشل بطرس بعد أن تعب الليل كله ولم يصطد شيء (لوقا ٥: ٥).

تجلت عظمة إلهنا في تلك الليلة التي خاصم فيها النوم عيني أحشويرش، فأرسل في طلب سفر تذكار أخبار الأيام، فقرئت أمام الملك (٦: ٢) ولاحظ معي:

١. كعادة ملوك فارس أن يستعينوا بالمغنيين والعازفين، لم يطلب أي من تلك الوسائل في ليلة فارق النوم عينيه (دانيال ٦:١٨، أستير ٦: ١-٣) بل طلب كتابًا، وبكل تأكيد كان هناك كتب وأسفار كثيرة ومتنوعة.

٢. لم يطلب أي كتاب أو قصة مثلاً، ولكن طلب سجل أخبار الملوك... فيؤتى له بذلك الذي يحتوي على قصة إنقاذه.. ولاحظ معي أنها حدثت قبلها بخمس سنوات.

٣. تأخر الملك في مكافأة مردخاي، وأثناء تلك الفترة حدثت كل الإصدارات السابق الحديث عنها بخصوص إبادة الجنس اليهودي.

٤. الله "لاَ يَنْعَسُ وَلاَ يَنَامُ" (مزمور ١٢١: ٣ ـ ٤)، كان يريد أن يوجه قلب الملك لأمر ما فتحكم في كل هذه الأشياء: النوم، والخادم الذي أتى بالسفر، وقراءة الجزء الخاص بمرداخي.

٥. الثواب والعقاب شريعة ملوك فارس. لم يكن أمرًا طبيعيًا أن يتأخر الملك كل هذه المدة. هل تذكرت معي يوسف وهو في سجن مصر، حين نسيه رئيس الخبازين سنتين ليخرج في الوقت المحدد ليصير مشيرًا لفرعون في تفسير حلمه ثم يتولى وكيلاً على أرض مصر (تكوين ٤١: ٤١)

هل نطمئن إذن، إلهنا الإله الحكيم وحده (١تيموثاوس ١: ١٧)، في يده أوقاتنا (مزمور ٣١: ١٥) وسط اضطرابات العالم، إذا نزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح، وصدمت البيت فلن يسقط لأنه مؤسسًا على الصخر (متى ٧: ٢٤ ـ ٢٧)، قد نضجر أحيانًا ظانين أنه تركنا أو أن الرب تأخر فنقول كلمات " قَدِ اخْتَفَتْ طَرِيقِي عَنِ الرَّبِّ وَفَاتَ حَقِّي إِلهِي "(إشعياء ٤٠: ٢٧) هيهات.. صالح هو الرب وحصن في يوم الضيق هو يعرف المتوكلين عليه (ناحوم ١: ٧).

قرارات صباحية صادمة

" مَنْ يَحْفُرْ ... هُوَّةٌ عَمِيقَةٌ. مَمْقُوتُ الرَّبِّ يَسْقُطُ فِيهَا (جامعة ١٠: ٨، أمثال ٢٢: ١٤)

لعل هامان أيضًا ظل ساهرًا طوال الليل، متفكرًا في الخشبة التي سيُعدها لقتل مُردخاي وصلبه عليها وعند إشراق شمس الصباح أسرع للقصر الملكي ليأخذ الموافقة، والتصريح بمعاقبة مردخاي (٦: ١٨)، فقد ازدادات حماقة هامان واشتعل غضبه يومًا بعد يوم... ولكن قد صعد إلى أذني رب الجنود هيجانه وعجرفته (٢ملوك ١٩: ٢٨).

ما هي نهاية المتكبر؟؟

١. "هُمْ جَثَوْا وَسَقَطُوا، أَمَّا نَحْنُ فَقُمْنَا وَانْتَصَبْنَا" (مزمور ٢٠: ٨).

٢. "يَتَرَفَّعُونَ قَلِيلاً ثُمَّ لاَ يَكُونُونَ وَيُحَطُّونَ. كَالْكُلِّ يُجْمَعُونَ، وَكَرَأْسِ السُّنْبُلَةِ يُقْطَعُونَ" (أيوب ٢٤: ٢٤).

٣. الأَعْيُنُ الْمُرْتَفِعَةُ تَضَعُهَا (مزمور ١٨: ٢٧).

٤. "اللهُ يُقَاوِمُ الْمُسْتَكْبِرِينَ" (١بطرس ٥: ٥).

ماذا حدث؟؟

دعي هامان للدخول إلى حجرة الملك "مخدعه" وهذا امتياز غير عادي.. تسبب في تضخم كبريائه ولكن "قَبْلَ الْكَسْرِ الْكِبْرِيَاءُ، وَقَبْلَ السُّقُوطِ تَشَامُخُ الرُّوحِ" (أمثال ١٨: ١٢)، تضخمت الأنا أكثر وأكثر، وتحديداً حين بادره الملك بسؤال لا يحمل معنى دقيق أو محدد " مَاذَا يُعْمَلُ لِرَجُل يُسَرُّ الْمَلِكُ بِأَنْ يُكْرِمَهُ؟ " (أستير ٦: ٦). قال في نفسه: لابد أن أكون أنا هذا الرجل. ومن غيري يستحق التكريم، أكيد الملك قد شعر بقيمتي العظيمة، أنه يبحث معي طريقة مكافأتي .. نسى هامان أنه جاء مبكرًا لعرض خطة التخلص من الذي بدوره لم يقدم له أي سجود، فتضاعفت آلام هامان، واندفع تجاه حجرة الملك حين دُعي .. ولكن هللويا للرب الذي يبطل مشورة الأمم ويلاشي أفكار الشعوب (مزمور ٣٣: ١١) "لَيْسَ حِكْمَةٌ وَلاَ فِطْنَةٌ وَلاَ مَشُورَةٌ تُجَاهَ الرَّبِّ" (أمثال ٢١: ٣٠)

" اَلصِّدِّيقُ يَنْجُو مِنَ الضِّيقِ، وَيَأْتِي الشِّرِّيرُ مَكَانَهُ " (أمثال ١١: ٨، ٢٩: ٢٣)

وهذه هي أبلغ كلمات تشرح ما سيأتي. لم يكن يخطر ببال هامان ولا مُردخاي حتى أنه يوم الفرج من عند الرب، وصف هامان لأحشويرش أعلى صور الإكرام في ذلك الحين.

١. يلبس الشخص الملابس الملكية (السلطاني الذي يلبسه الملك)
٢. يمتطي الفرس الملكي الذي يركبه الملك
٣. تاج الملك يوضع على رأسه
٤. يدفع اللباس والفرس لرجل من رؤساء الملك الأشراف ويلبسون الرجل الذي يسر الملك به.
٥. يركبونه الفرس في ساحة المدينة وينادون قدامه هكذا يُصنع للرجل الذي يُسر الملك بأن يكرمه. هذا ما قاله هامان ظنًا منه أنه هو من سينال هذا الشرف. وربما تمادى في أفكاره إنه إذا كُرِم بهذه الطريقة فستعلم كل المدينة أنه وريث العرش الأول. أو صار وليًا للعهد ومن سيتولى بعد أحشويرش... لكنه استفاق من غفلته على زلزال قلب الموازين.

ماذا قال الملك لهامان؟
١. أسرع
٢. خذ الملابس الملكية
٣. الفرس
كما تكلمت وأفعل هكذا لمردخاي اليهودي الجالس في باب الملك (٦: ١٠، ١١). نفس الملك الذي وافق منذ أسابيع قليلة على مرسوم إبادة هذا الجنس، ها هو يأمر بإكرام الحارس صاحب الجنسية اليهودية، الذي أنقذه من مؤامرة قتل دُبرت له منذ خمس سنوات. كان أحشويرش مدين بحياته لمردخاي

يوم الإهانة والتأديب (١٢ - ١٤)
هل صدقت يا هامان ما يحدث حولك. هل أبديت دهشتك.. هل قدرت أن تعبر عن ما جال بخاطرك منذ دقائق. كم حجم خيبة أملك؟؟
تحتم عليك الآن أن تخرج مسرعًا لتجد مردخاي وتأتي به إلى داخل القصر، عليك الطاعة والإنحناء أمامه ليلبسه ملابس السلطان، وتركبه الفرس، ثم تجول به المدينة صائحًا "هذا ما يفعله الملك برجل يسر بأن يكرمه" وبعد الانتهاء. ترجعه ثانيًا إلى القصر. يا للعجب: هامان الفارس صار خادمًا لمردخاي اليهوي .. آمرًا الناس أن تنحني له كرامة وتقدير، ما لم يعمله مردخاي لهامان، عمله هامان لمردخاي.
الله يسكب بركاته على المتضعين، لأنه يعطيهم نعمة أعظم (١بطرس ٥: ٥)، أولئك الذين لا تغيرهم الظروف، لا يتعالوا بسبب تقدير، ولا يترفعوا بسبب كرامة.

ماذا عن هامان؟
حال إتمامه المهمة رجع سريعًا إلى بيته ـ كئيبًا حزينًا مُنكس الرأس، نائمًا كما لو كان في مأتم. وفي كآبة قلبه لم يرد أن يرى أحدًا، لأنه أذل اليوم، كان يظن أنه سيكون أضحوكة اليهود.
اعتمد هامان في سعادته على غناه ومركزه، فليس هو صاحب حضور متميز فمن السهل جدًا أن يفقد شهرته كلها في لحظات.

وتجتمع عائلة هامان حوله ومعه (٦: ١٣)، ويعترف بمذلته لهم وهم متشائمين متشككين رأوا أن أحداث اليوم علامة سيئة لمستقبل هامان.
ولو انتبه هامان لجرس الإنذار الإلهي وتاب راجعًا مُغيرًا موقفه، طالبًا مراحم الرب، لأنقذ حياته وحياة أولاده العشرة. كانت لهامان فرص للتغيير والرجوع ولكن لم يستفد منها هامان، ويُختم هذا اليوم بدعوة الخصيان لهامان أن يسرع لحضور وليمة أستير (٥: ١٤)، ويذهب هامان لآخر وليمة..

لنتعلم الدرس الهام

حين يدق ناقوس الله توقف، اصغ، استمع، انظر، طِع

فَمَنْ هُوَ الْعَبْدُ الأَمِينُ الْحَكِيمُ الَّذِي أَقَامَهُ سَيِّدُهُ عَلَى خَدَمِهِ لِيُعْطِيَهُمُ الطَّعَامَ فِي حِينِهِ؟ (متى٢٤:٤٥)

للدراسة والبحث الشخصي:

١. الرب يعطي لنا فرص للرجوع، ومنا من يقتنص الفرص ومن يستهين بها (وضح من الشواهد ٢ بطرس ٣: ٩، متى ٢٣: ٣٧).
٢. الرب يتم مقاصده في توقيتاته اشرح (غلاطية ٤: ٤، خروج ١٢: ٤٠ ـ ٤٢، تكوين ١٥: ١٣ ـ ١٦)
٣. رسالة هامة من (٢أخبار ٢٤: ٢٢) ما هي؟
٤. معنى مشترك (لوقا ١٠: ٣١، ٣٢، ويعقوب ٢: ١٦، فيلبي ٢: ٢١)، ما هو؟